سيرة سيدي الفقيه
مَحمد النظيفي

بسم الله الرحمن الرحيم

قبس من حياة العالم القدوة، العفيف الناسك الزاهد

سيدي الحاج مَحمد بن عبد الواحد النظيفي

رضي الله تعالى عنه و أرضاه

مولده و نسبه :

ولد العالم العلامة العفيف الناسك الزاهد، سيدي الحاج مَحمد بن عبد الواحد النظيفي رضي الله عنه و أرضاه ببلدة آيتكن من إقليم سوس الأقصى، و ذلك عام سبعين و مائتين و ألف هجرية ١٢٧٠ هـ - ١٨٥٤ م و هو سيدي مَحمد بن عبد الواحد بن الحسين بن محمد بن الحسن بن احمد بن علي بن إبراهيم بن مسعود بن محمد النظيفي.

شيخ الطريقة الاحمدية في هذا العصر و في كل عصر في المغرب، و صاحب الشهرة الطنانة التي لا توازيها شهرة شيخ اخر من معاصريه في هذه الطريقة، و هو من أسرة مجيدة من فخدة آيتكن من قبيلة (ءايداو نظيف) إحدى القبائل المتضامنة لتارودانت في الجبل الجنوبي الشرقي.

نشأته و طلب العلم :

نشأ سيدنا في بلدة آيتكن التي ولد فيها، و لما بلغ سن التعلم أدخله والده "الكتاب" و عمد بتعليمه القراءة و حفظ *القرآن* على يد الشيخ محمد بن عبد الدايم، في تمالوت، كما أخذ *القرآن* عن الفقيه محمد بن آيت إبراهيم بن علي الهوزالي في قرية نشأته. و سرعان ما ظهرت نباهته و نجابته، ففرح به الشيخ، و اجتهد في تربيته و تعليمه، فكان آية في الحفظ حتى أنه حفظ *القرآن* حفظا تاما متقنا في سن السابعة من عمره.

و كان الطلبة يتعجبون من أمره حينما كانوا يرونه لا يلهو و لا يلعب كعادة الصبيان، فقد كان رضي الله عنه طول حياته منذ صباه إلى وفاته لا يعرف الهزل و لا يحب اللغو، و لا **يملأ** وقته بغير العلم و العبادة. على ذلك نشأ و تربى، فكان ذا حزم و عزم و اجتهاد الى آخر نفس من حياته.

ثم افتتح سيدنا رضي الله عنه دروس العربية عند الحاج أحمد أو موسى الطاطائي في مدرسة (تاتلت)، حيث لازم هناك أربعة عشر سنة، ثم انتقل معه إلى (ايماديدن) وهو أستاذه الوحيد في (سوس)، كما أخذ العلم في مدرسة (حصن الهناء) (بطاطا) على الفقيه عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان من بني حساين، كما أخذه عن الأستاذ أحمد بن محمد من بني حساين كذلك.

ثم التحق (بأخليج) في بلدة (أوريكة) بالحوز، فأخذ عن العلامة العارف الحاج علي بن أبي جمعة المسفيوي. فلم يمكث عنده إلا مدة يسيرة حتى ظهرت عليه آيات الفتح، و تبحر في علوم الشريعة النقلية و العقلية، فكان آية في الحفظ و الفهم و أجازه شيخه إجازة مطلقة، ثم

أرسله أستاذه هذا إلى كلية القرويين بفاس، حيث مكث أربعة عشر شهرا، قرأ على جماعة من علمائها الأعلام، منهم شيخ الجماعة العلامة محمد كنون، الذي أجازه كذلك إجازة مطلقة.

تدريسه العلم :

بعد أن أنهى سيدنا رضي الله عنه دراسته بالقرويين بفاس، رجع إلى قبيلة (أوريكة) قاصدا زيارة شيخه بها الحاج المسفيوي الذي استقبله بالحفاوة و الترحيب، و لما تذاكر معه في شتى العلوم ووجده بحرا زاخرا، اشتد إعجابه بنبوغه ،وقوة ذكائه وفهمه ، وكثرة حفظه، فأشار عليه شيخه هذا بالتوجه إلى قبيلة كلاوة، لان القايد الكلاوي باشا المدينة، أرسل إليه في طلب فقيه عالم يقوم بتدريس العلوم في تلك الديار، إلا أنه لم يستقر بها فسارع الى مغادرتها، في اتجاه قبيلة (ايلونيلن)، حيث احتفى به أهلها أيما احتفاء، فكان عندهم أستاذا ظهر علمه و صلاحه، حتى ذاع صيته في تلك الأرجاء، فأقبل عليه طلاب العلم، و قصده الراغبون في العرفان من كل حدب وصوب.

و لما توفي أبوه رجع إلى مسقط رأسه (آيتكن)، سنة ١٣٠١ هـ - ١٨٨٣ م ، و تصدر لنشر العلم في القرية، وقصده الطلبة من كل النواحي لينهلوا من علمه و عرفانه و بقي هناك مدة ثلاث سنوات، حيث انتقل سنة ١٣٠٤ هـ - ١٨٨٦ م إلى قبيلة (تتلت) التي قضى بها مدة أخرى في تدريس العلم.

في سنة ١٣٠٥ هـ - ١٨٨٧ م ، سافر سيدنا إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج، و لما رجع وجد الشيخ قبيلة (ايت جلال) تعدو على قريته، على عادتهم في كل جيرانهم، و هي حرب ضروس قتل فيها عشرات و سببها أن الجلاليين كانوا ألفوا أن يأخذوا الإتاوة من هؤلاء فاستنفرهم سيدنا على أن لا يذلوا، فرفعوا رؤوسهم، فلم يرض الجلاليون، فأرادوا أن يستحوذوا على القرية، و لكنهم اندحروا بعدما مات كثير منهم من أهل القرية و حين رجوع سيدنا من الحج، و زيارة مسقط رأسه، شد الرحيل نحو أوريكة بالحوز و ذلك لزيارة شيخه في مدرسته، فأمره بالمقام في محل قريب منه للتدريس بمدرسة أكركور، ولم يتركه يرجع الى بلدته بسوس ،فأرسل في طلب أهله ، حيث أقاموا معه في اكركور ، فملأها علما سنين كثيرة، حتى طلب منه القائد الطيب الكندافي أن يتولى القضاء، فاحتال حتى أخذ منه الإذن ليزور ضريح مولاي إبراهيم، فتملص من ذلك بسهولة.

استقراره بمراكش :

وجد سيدنا رضي الله عنه في الولي الصالح أحمد محمود الفقيه الناصح و الرجل الصوفي الكامل الذي لم يعد يجد صبرا على البعد عنه، فكتب له يستشيره في أن يأتي للاستقرار بمراكش حتى يكون قريبا منه، فلما وافقه سيدي احمد محمود على طلبه، قرر مغادرة مدرسة أكركور بقبيلة كندافة ليقيم بمراكش، حيث وجد نفسه بالقرب من شيخه، فنزل في بيته أياما محفوفا بكامل الإكرام و الرعاية، وقد وقف معه حتى اشترى له دويرة، و هي أول ما ملكه، ثم قام بزاوية المواسين الكنسوسية حق قيام بضع سنين، ثم أن تلك الدويرة زاد فيها أولا قليلا يذكر فيها مع أصحابه ثم زاد عليها، إلى أن صارت هي الزاوية الكبرى المشهورة هذه في باب الفتوح بحومة القصور، و كان تشيدها عام ١٣٣٨ هـ - ١٩٢١ م ، و هي مازالت حتى الآن تنظم فيها تلاوة *القرآن* و الأوراد، و إنشاد الأمداح النبوية من نظمه و نظم غيره، و حلقات الدروس العلمية و الدينية.

اعتكافه و زهده :

اتخذ الشيخ النظيفي حجرة في داره، كان يخلوا فيها إلى نفسه متحنثا، و كان في آخر عمره يقضي فيها أوقات ليله و نهاره بين العبادة و التأليف، و فتح لها بابا على الزاوية، فلم يكن يخرج منها إلا إذا أقيمت الصلاة، فيؤم بالمصلين ثم يبادر بالرجوع إليها بمجرد انتهاء الصلاة .

و لا يراه أحد خارج زاويته إلا يوم الجمعة في "المواسين" و لا يجالس إلا من زاره على ضفة من خرج للصلاة، و استطاع أن يحافظ على ناموسه محافظة تامة، فقد ابتعد عن جميع الطبقات، فلا يخالط أحدا، إلا من قصدوه بالزيارة أو تلقين الأذكار، و قلما كان يمكث بالزاوية إلا لحضور حلقة الذكر، و قد رأى منه أصحابه من الكشوفات و من الكرامات و من البركات ما يتناقلوه بينهم.

كان سيدنا رضي الله عنه لا يتنازل لمجالسة الرؤساء، رفعة للهمة و تعلقا به ففي كل شيء و لا يتردد عليهم، و لا يكثر شفاعة عندهم إلا لماما.

كان سيدنا رضي الله عنه لا يتنازل لمجالسة الرؤساء، رفعة للهمة و تعلقا به ففي كل شيء و لا يتردد عليهم، و لا يكثر شفاعة عندهم إلا لماما.

سنده في الطريقة التجانية :

أشار سيدنا رضي الله عنه إلى سنده في الطريقة التجانية الأحمدية و ذلك في كتاب " الدرة الخريدة" حيث قال : "بيني و بين سيدنا أبى الفيض أحمد بن محمد التجاني الحسيني رضي الله عنه و عنا به آمين " في بعض الأسانيد العالية ثلاث و سائط... فإن الله تعالى قدره و تبارك خيره تفضل علي بمحض الجود و الأفضال بالدخول في الأحمدية العديمة المثال سنة ١٣٠٩هـ -١٨٩٢ م .

قد أرشد في شهر شوال على يد سيدنا وعدتنا وعمدتنا المقدم الصالح أبي محمد الصالح احمد محمود أبي محمد رضي الله عنه و عنا به آمين.

وفي شهر الله صفر عام قريش ١٣١٠هـ -١٨٩٣م أجازني فيها ذو الأحوال السنية و الأوصاف المرضية الفقيه الابر و القدوة الأغر سيدي الحاج الحسين الإفراني رضي الله عنه و عنا به آمين.

اخده الطريقة التجانية :

كان سيدنا رضي الله عنه متمسكا بالطريقة الناصرية مثل والده، و كان مقدما فيها مدة اثنتي عشرة سنة :يقول ابنه سيدي احماد رحمه الله عن تحوله الى الطريقة التجانية ما نصه :

ذات يوم نزل بأكرور ضيف فقيه مبارك حبسه المطر الغزير و البرد الشديد، فدخل على سيدي الوالد و قد بلل المطر ثيابه و جسمه فرحب به و أعطاه ثوبا يلبسه، فنزع الضيف ما عليه من الثياب ليجف ثم تفقد كتابا كان معه و كان خائفا عليه من المطر، فلما أخرجه ووجده سالما حمد الله، فلما رأى سيدي الوالد رضي الله عنه شدة حرص ضيفه على الكتاب سأله عن اسمه و اسم مؤلفه، فاخبره بأنه "جواهري المعاني" ،وأن مؤلفه هو العارف بالله تعالى سيدي الحاج علي حرازم وأنه يتكلم فيه عن فضائل الطريقة التجانية، ومناقب الشيخ التجاني رضي الله عنه و عنا به آمين، فلما سمع سيدي الوالد كلام ضيفه طلب منه أن يسمح له بإلقاء نظرة

عليه، فلما أعطاه إياه و جعل يطالعه أخذ بلبه و استولى على فكره و قلبه، و لسان الحال يقول :

سحائب الخير لها مطر فإذا جاء الإبان تجي

و لم يكتف سيدي الوالد رضي الله عنه من الكتاب بتلك القراءة العاجلة، فعزم على نسخه قبل ذهاب ضيفه، فاستحضر طلبته بعد العشاء، و أعطى كل واحد منهم ملزمة من الجزء الثاني، و أمرهم بنقل ما فيها، و تولى بنفسه نقل الجزء الأول، فنسخ هو و طلبته الكتاب كله في ليلة واحدة...ثم سأل سيدي الوالد رضي الله عنه ضيفه الميمون إلى أين يذهب و من يقصده ؟ فأجابه بأنه ذاهب إلى مدينة مراكش قاصدا زيارة الولي الصالح المقدم سيدي احمد محمود حنيني فقر عزم سيدنا على السفر مع ضيفه إلى مدينة مراكش لتلك الزيارة فاتجها بعد الحلول بمراكش حيث كان يوجد الفقيه سيدي احمد محمود بالزاوية التجانية الكنسوسية بحومة المواسين، فلما دخلا عليه، و جاء الشيخ النظيفي بين يديه التفت إلى من حوله و قال مشيرا إلى سيدنا :
"هذا هو الطائر الذي كنت أحوم عليه، فلله الحمد و المنة" و طلب الشيخ النظيفي الإذن في الطريقة التجانية، فاذن له فيها و أجازه إجازة مطلقة، فكان أول أشياخه في الطريقة الأحمدية.
وفي شهر الله ربيع النبوي عام قريش ١٣١٠هـ - ١٨٩٣م أجازني فيها العالم العلامة الدراكة الفهامة القدوة المرضية و النسمة الزكية سيدي الحاج محمد كنون الفاسي رضي الله عنه و عنا به آمين.
و بيني و بين سيدنا أبي الفيض رضي الله عنه و عنا آمين أيضا وسيطتان اثنان. وممن أخذت عنه الطريقة الأحمدية في شهر الله المعظم شعبان عام قريش ١٣١٠هـ - ١٨٩٣م سندنا الفاضل و سندنا الواصل سيدي أحمد العبدلاوي رضي الله عنه و عنا آمين، عن قطب الزمان و غوث الأوان ريحانة شيخنا الأكبر ووارث سره الأغور سيدي محمد الحبيب و عن القطب الرباني سيدي الحاج علي التماسيني رضي الله عنه و عنا آمين، عن سيد الوجود و السبب في كل وجود صلى الله عليه و على آله و سلم، و لقنينها رضي الله عنه وعنا امين في الزاوية السعدية تجاه الحضرة الأحمدية بعد استخارة من الجانبين ورؤيا بدون مين، تدل على أن سنده اخصر و أسهل و اقرب و أوصل ،فلله الحمد و له المنة و الشكر في الدنيا و الآخرة.
وممن أخذتها عنه أيضا في شهر الله شوال عام أحد عشر و ثلاثمائة و ألف ١٣١١هـ - ١٨٩٣م المقدم الناصح و الولي الصالح فريد عصره ووحيد دهره العلامة الأبر و القدوة الأغر أبو مهدي سيدي عبد الله الكنسوسي رضي الله عنه و عنا به آمين.

مؤلفاته :

لسيدنا تآليف غزيرة، اتسمت بغناها و تعدد مناحيها، و في ذلك يقول العلامة المحقق سيدي أحمد سكيرج، "إن السيد النظيفي رضي الله عنه، قد نشر أعلام تآليفه في الطريقة، بما يشهد له في كثرتها و إفادتها للعموم و الخصوص، و اذ عنت له في إجمالها و تفصيلها الرؤوس...

سيما فيما أطال به من النقول و النصوص، فمن ذلك شرح خريدته الكبير و الصغير و كلاهما مطبوع، مع ما له من غيرهما.... و الله يطيل به النفع آمين و هذه المؤلفات هي :

١- الدرة الخريدة على شرح الياقوتة الفريدة :
هذا الكتاب يعتبر من أهم مؤلفات سيدنا رضي الله عنه، و هو شرح مسهب لقصيدة "الياقوتة الفريدة" التي نظمها في فقه الطريقة التجانية، و تشتمل على ٥٥٧ بيتا من البحر الطويل، كلها تائية القافية.
و قد انتهى من تأليفه عام ١٣١٩ هـ -١٩٠٢ م طبع طبعة أولى حجرية بفاس، ثم طبع طبعة ثانية بمصر عام ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م ، ثم طبع طبعة ثالثة عام ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م .

٢- زبدة الخريدة على الياقوتة الفريدة :
هو شرح لمفردات القصيدة المذكورة سابقا، طبع طبعة أولى عام ١٣١٦ هـ - ١٨٩٩ م ، ثم طبعة ثانية عام ١٣٥٣هـ - ١٩٣٥ م.

٣- مواهب اللطيف :
ديوان يشتمل على مائة و خمسين قطعة شعرية (قصائد و أراجيز) نظمها في مواضيع مختلفة.

٤- الطيب الفائح و الورد السائح في صلاة الفاتح :
التعريف بهذا الكتاب نجده فيما كتبه عنه عند صدوره المحقق و الشاعر عبد الكريم بنيس قال:
"أما بعد فيقول مصححه العبد الفقير البئيس، عبد الكريم بن العربي بنيس كان الله له، قد تم بمعرفة الله تعالى طبع هذا الكتاب المستطاب، الحائز من اللطافة لباب اللباب، المسمى بالعطر الفائح في صلاة الفاتح، كتاب و شرح ابدا فيهما مؤلفهما و أعاد، و وفي بالمراد، أتى فيه بصيغ من الصلوات فائقة، و عقود بالجوامع رائقة، فيها بغية كل عابد، و جيش كل معاند، بها ميزان الرحمة هاطل، و بحر المعارف فائض سائل، كيف و هو للإمام الهمام، علامة الإسلام، الشارب بأعظم الأواني، من بحر الختم المكتوم التجاني سيدي محمد بن عبد الواحد النظيفي المراكشي، أكمل الله مقامه و فوائده و عوائده فبالله من كتاب جمع ما في الجوامع من المطالب، لكل عابد و طالب، من دعا به أجيب دعاه، و من تعبد بقراءته كفاه، مع ما اشتمل عليه من غوائب اللغة و الاشجاع، مما يروق النواظر و الأسماع".

٥- تخميس الوتريات :
و هو تخميس للقصيدة المشهورة لمحمد بن راشد البغدادي في مدح الرسول عليه الصلاة و السلام، وقد طبع طبعتين أولاهما في ١٣٣٢ هـ - ١٩١٤ م والثانية عام ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨ م.

٦- تخميس البردة :

و هو تخميس لقصيدة البوصيري و قد طبع طبعتين بمصر في سفر واحد مع تخميس الوتريات.

٧- تخميس الهمزية :
و هو تخميس لقصيدة البوصيري ايضا و قد طبع كذلك طبعتين بمصر في سفر واحد مع تخميس البردة و الوتريات.

٨- تخميس قصيدة ام هانيء :
و هو تخميس لقصيدة العارف بالله أم هانيء، و قد طبع كذلك طبعتين بمصر في سفر واحد مع التخميسات السابقة.

٩- النفحات على الوتريات :
و هو شرح لألفاظ تخميس الوتريات.

١٠- الأطرزة الأبريزية على القصيدة الهمزية :
و هو شرح لبردة البصيري وقد طبع عام ١٣٤٠ هـ - ١٩٢٢م.

١١- تقرير لطيف في شرح بعض ألفاظ قصيدة ام هانيء :
وهو شرح مطبوع في سفر واحد مع شروح التخميسات السابقة.

١٢- زبدة الإعراب في نظم قواعد الإعراب :
وهو نظم لقواعد النحو والصرف على غرار " الفية ابن مالك " تم تأليفه ٢١ جمادى الثانية من عام ١٣٣٨ هـ - ١٩٢٠م ، طبع طبعة واحدة بمصر عام ١٣٤٠ هـ – ١٩٢٢م .

١٣- نصرة السلطان و إغاظة الشيطان :
ويشتمل على أرجوزتين في نصرة السلطان على أبي حمارة ، الأرجوزة الاولى مجرد توسل إلى الله ، أما الثانية فقد نظمها سيدنا في محضر نقولات من زعم أن أبا حمارة من حفدة الشيخ التجاني .

١٤-مبادئ الإشراق والإسعاد فيما للتجاني من الأذكار والأوراد :
طبعه ونشره ولده السيد أحمد بن محمد النظيفي عام ١٣٩٤ هـ -١٩٧٤ م ، وهو كتاب يشتمل على مقدمة وفصلين :
الأول : في فضائل الذكر وآدابه
والثاني : في فضائل الدعاء وآدابه ، وقسم أخير في تبيين الورد وشروطه .

١٥-الأجوبة النظيفية على الأسئلة المرضية :

طبعه ونشره ولده مع السفر السابق الذكر ، وهو عبارة عن مختارات من أجوبة سيدنا على بعض الأسئلة التي طرحها سيدي أحمد الجلاوي على جناب سيدي الشيخ الحاج مَحمد النظيفي في مواضيع مختلفة ، وقد بلغ عددها مائة وسبعة وعشرون سؤالا وجوابا .

تلك جملة المؤلفات التي خلفها سيدنا رضي الله عنه وأرضاه، وهي تعكس مدى وقوة وتنوع نتاجه بين نظم ونثر، نفعنا الله بها، آمين.

وفـــــــاتـــــــه :

كان سيدنا رضي الله عنه قد استثنى حجرة من زاويته ، لتكون مقبرة له ولعائلته ، والسبب في ذلك ما ذكر في آخر كتابه "الدرة الخريدة " بقوله : "كثر النباشون للقبور في أوائل سنة ١٣٤٦ هـ -١٩٢٨م وفشا نبش القبور ، فاستحسنا دفن موتانا خاصة بزاويتنا بباب الفتوح بمراكش، صيانة لهم من النبش ، وستارا للعورة ، ولأن الميت يتأذى بما يتأذى به الحي ، ولكون حرمة المؤمن ميتا كحرمته حيا " وفي وسط تلك الحجرة التي استثناها من الزاوية اتخذ قبرا له.

توفي سيدنا الشيخ الحاج مَحمد النظيفي رضي الله عنه في *الإثنين ٢٠ نو الحجة* سنة ١٣٦٦ هـ - ٤ نومبر ١٩٤٧ م . و دفن في ذلك القبر ، وكان في حياته نظم في تلك الحجرة إزاء زاويته تلاوة حزبين من القرآن كل يوم ، وتلاوة الطيب الفائح في صلاة الفاتح ، الذي هو تأليفه ، كما نظم فيها إنشاد تخميسه للوترية البغدادية ، وتخميسه للبردة والهمزية.

وبوفاة سيدنا قدس الله سره ، انهار به ركن عظيم في الطريقة الأحمدية فبكاه أهلها أحر بكاء فقال الأديب سيدي داود الرسموكي يرثيه:

إذا لـــم يـرق دماءه الجفن ما وفى ... وأمـــا انسكـــاب الدمع منه فمـــا كفى
لمـــا حل بالإسلام من حادث تذو ... ب من وقعه الأكبـــــاد وانفطر الصفـا
مصاب أمام الدين شمس سمائه ال ... نظيفي بحـر السـر لؤلؤة الصفـــــا
إمـــام الهدى البدر المنير الذي به ... هـــــدى الله للخيرات ما شاء واصطفى
منـــــار لـمستهد، بـوار لمعتد ... يســــــار لمستجد ، ألـم أو اعـتفى
أ(مراكـش) الخيرات مالـك لا تنو ... ح جهـرا على نبـراس عـلم قد انـطفـا
فـمن بعده للـدين يحـيـي رسومـه ... ويـــزهد فـــي جميع الـحطـام تـعـفـا
ومـن بعده للمكرمـات يصونهـــا ... ويحـفـظ سرب الـمجـد أن ينـقصفـا
ومـــن بعـده للعـلم يـجمع شمله ... فـــألـــف فـــي الـــفنون مـاكـــان ألفا
فـسل عـن مداه في العلوم (خريدة) ... تريـــك الـهـدى بـعد العمى متكشفا
تريك طريق الحق في كـل مطـلب ... خصوصا حديث المصطفى والتصوفـــا
وقـدس لـهـذا الشيخ روحـا وهيئن ... لـــه فـــي جوار خير خـلـــقـك رفـــرفا
بـجـــاه رسـول الله صـلى الهنا ... عـــليه ومن لـــه انـتمى فتشـــرفـــا
وصحـــابـــه الآل ما هبت الصبـا ... فـهـاجـت إلـــى التهيام من كـان مدنفا
وجاه أبي الفيض التجاني خير من ... إلى الخير قـد هـــدى وأيـقظ مـن غـفـا

بتصرف من الأطروحة التي أنجزها الأستاذ محمد بن الشارف سبط الشيخ عن الفقيه سيدي الحاج مَحمد بن عبد الواحد النظيفي

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد الفاتح الخاتم وعلى آله وصحبه
أسانيد سيدنا الفقيه مَحمد النظيفي رضي الله عنه